المسوخ عند اليونان والرومان

نبذة للاب لويس جلابرت اليسوعي

جاءنا القسم الثامن والثلاثون من كتاب معجم العاديات اليونانية والرومانية الذي يتولى نشره العلماء الاثريون دارنبرغ وساغليو وبوتيه (١ . ولما كنا عرفنا غير مرة فضل هذا المعجم وما يتضمنه من المواد الغزيرة الشاملة لكل معارف القدماء لا نرى الى اطرائه داعياً . وكفانا لمدحه القول بأنه اعظم واوسع معجم كُتب حتى اليوم في آثار رومية واثينة وان عدد صوره بلغ ٥٦٩٨ وقد انتهى منه حتى الآن نحو ثلثيه نقط وآخر مادة دار الكلام فيها الحجاز عند القدماء (Pistor)

وها نحن هذه المرة نختار من الجزء الذي وردنا احدى مواده التي لها بعض العلاقة مع العادات الشرقية نريد بها المسوخ . والمسخ في اللغة كل صورة مشوهة وانما أريد به عند العرب تغيير تؤهموه في الآدمي بحيث ينتقل من صورته الطبيعية الى صورة حيوان غير ناطق او الى صورة أخرى بقوة فائقة الطبيعة . ثم اطلقوا اسم المسخ على كل تشويه صناعي للصورة البشرية ومن هذا الاسم العربي اشتق الفرنج لفظة « Masque » دلالة على التصاوير السخرية التي يجملونها على الوجوه في بعض المواطن كما انهم استعاروا ايضاً من العربية لفظة « Mascarade » من « المسخرة »

وقد سبق حضرة الاب انستاس الكرملي مكاتبنا البغدادي المتفنن وذكر هذه السنة في مقالته عن الموقع (ص ١٩٣—٢٠٢) عادات الشرقيين خصوصاً في اتخاذ هذه الأزياء الغريبة والتنكرات العجيبة لما تفكها واما تهتكا . ولعل شعوب الشرق القديمة هي التي تقدمت غيرها في استعمال المسوخ . وقد وُجد في مصر القديمة ما ينبئ بذلك منذ الف سنة بنيف قبل المسيح (٢ وآثار ذلك باقية حتى يومنا في مدن كثيرة وهو ما يُعرَف بالقره كوز (كاكوز) ومعناها في التركية العين السوداء

١) Daremberg, Saglio et Pottier: Dictionnaire des Antiquités grecques et romaines. 38e Fasc. (PARIES-PISTOR), *Paris, Hachette,* 1906.

٢) راجع كتاب المسيو هوروفتس (Horovitz: *Spuren griech. Mimen. im Orient*)

اما اصل استعمال المسوخ فقديم جداً عند اليونان ولعلهم اتخذوا هذه العادة من الشرقيين وتلهوا بها لتفكيه العامة وأملا بالربح لكنهم ما فتئوا ان وجدوا فيها وسيلة للالعاب المرسحية فاتخذوها لفن التمثيل سواء كان مأساة او رواية هزلية واقتدى الرومان في ذلك بسلفهم اليونان

والظاهر ان المشخصين اتخذوا المسوخ في مثنة منذ اول استعمال فن التراغودية اي تمثيل الروايات المفجعة . وكان مخترع هذا الفن الشاعر ثسپيس نحو السنة ٥٣٦ قبل المسيح ثم جاء اسخيلس بعده (٥٢٥—٤٥٦) فزاد الفن تحسيناً واستعان كلاهما بالتصاوير المسخية كما استعانا باللابس لتشخيص احوال القدماء وهيئاتهم وحركاتهم . وقد وُجد من هذه المسوخ اليونانية آثار متعددة توافق ما وصفها به قدماء الكتبة وما ورد منها ايضاً منقوراً على الحجارة او منقوشاً على صحائف الكتب . ولم تكن تلك المسوخ على مثال المسوخ المعروفة في عهدنا تُجعل على الوجه فتحجبهُ وانما كانت تغطي الرأس كلهُ حتى قذالهُ كخوذة الفرسان في القرون المتوسطة لكنهم كانوا يضعون على الرأس لبداً ليقيهُ من اذى المسخ وضغطهِ . وكانوا يتخذون لاستحضار هذه المسوخ اخلاقاً يجاونها في قالب ويضغطونها حتى تصبح صلبةً جاسيةً ثم كانوا يركبون عليها جصاً ثم يصبغون الجص بالالوان ويصورون كل تقاطيع الوجه تصويراً ناصعاً بأصباغ تُرى من بعيد يتركون للفم شدقاً واسعاً بحيث يمكن المشخص ان يُسمع صوتهُ على بُعد ولعل تركيب المسخ كان يزيد الصوت قوةً كانهُ البوق . وكانوا يتخذون للمسخ شعراً صناعياً مختلف الالوان على حسب اطوار اللاعبين واعمارهم

وكانت هيئات هذه المسوخ عديدة جداً . فان الفراماطيقي پولوكس احد كتبة القرن الثاني بعد المسيح اذ وصف اصناف اللابس المرسحية عدَّد ٧٦ نوعاً من المسوخ وخصَّ بينها ٢٨ مسخاً لتمثيل عواطف الحزن المختلفة في المآسي كالكآبة واليأس والغضب وعدَّ ٤٤ مسخاً للروايات السخرية . واغرب ما كان بينها ما اتخذوهُ منها للهزل والضحك حتى ان الحضور بمجرَّد النظر اليها كانوا يستغربون من القهقهة والضحك فمن ذلك مسوخ كانت تمثل بعض مشاهير العصر من قوَّاد وفلاسفة وحكَّام كانوا ينسبون اليهم ادواراً مبهجة ويتقلدون حركاتهم واعمالهم واصواتهم وتارةً يمثلون مسوخاً هزلية كمسوخ الحيوانات والطيور يجعلون لهم الرؤوس الضخمة والقرون

الطويلة والمناقير المرؤسة كما فعل ارسطوفانس في رواية الطيور . وكانوا في الغالب يجعلون للممثل رأساً مسخياً موافقاً للدور الذى يلعبهُ كؤوس الآلهة او الجبابرة او البشر او البهائم التي كانت تُرى على المرسح

مسوخ هزلية

وقد أبقى لنا بعض الكتبة وصف صور المسوخ وفقاً لأحوال الممثلين قالوا : يُعطى الاب الحنون شعراً قصيراً وثغراً باسماً وحواجب ساكنة ونظراً منكسماً . اما الاب الصارم فليكن مسخهُ ماحل الوجنتين ومتّقد العينين ذا سحنة صفراوية وشعر صناعي اشعث وآذان مشوّهة . وان كان ابّاً متنقّلاً من اللطف الى الجفاء فليجعل لهُ مسخ ذو هيئتين مختلفتين فالحاجب الايمن المنتصب يدلُّ على الغضب والحاجب الايسر

مسخ الحزن

مسخ الغضب

التساوي على الأناة ولين الطبع . والممثل يُري الحضور جانباً دون الآخر على مقتضى المعنى

وان اردت تمثيل الشاب ألبسهُ مسخاً يمثل وجهاً مزهراً متورداً يدلُّ على القوَّة والاناقة ان كان ابن البيت . واعطهِ مسخاً ذا عيون غائرة ولون شاحب ان كان جعد الشعر . وامسخهُ بمسخ ابيض يقق مدهون بالاسبيداج ان نويت تمثيل شاب رغد متنعم . وان كان فلَّاحاً فلتكن شفاههُ غليظة

اجعل للطفلي صورة باسمة متذللة مع آذانٍ متغلطحة لكثرة ما ينالهُ من الصَّفعات وكذلك النساء فانَّ صورهنَّ تختلف ايَّ اختلاف على حسب احوالهنَّ من شباب او عجز . من غنى او فقر . من سيِّدات او اماء

فمن تعداد اجناس هذه المسوخ نرى انَّ قدماء اليونان والرومان كانوا توصَّلوا الى تمثيل احوال المشخصين رغماً عمَّا في هذه التصاوير من الصلابة والشدَّة

ولكن هناك صعوبة أخرى ما كان يمكن القدماء ان يغلبوها تماماً وهي رسم عواطف النفس على تقاطيع الوجه . فانك لو عاينتَ ممثلًا في زماننا يُحسن التشخيص تراهُ في الساعة يتنقَّل من عاطفة الى عاطفة ومن سحنة الى اخرى فيبكي ويبتسم ويفرح ويحزن ويغضب ويروق ويحمرُّ بالخجل ويزرقُّ بالغيظ . فان اكتفى بالمسخ الواحد لما امكنهُ تمثيل كلّ هذه العواطف في وقت قريب لكنَّ القدماء كانوا يقنعون بالصور القليلة فيوجهون فكرهم الى اصوات المشخصين اكثر منهم الى ايماء وجوههم وتلوُّنها بالاحساسات النفسانيَّة كما يجرِّد المحدثون فكرهم اذا رأوا الممثر او ألعاب الكوسج فيتفكَّهون بمناظرها الغريبة وحركات اصحابها واقوالهم وان كان في هيئات وجوههم بعض الخلل

هذا ما وصفهُ اصحاب معجم العاديَّات بتصاوير وشواهد قديمة وقد مثَّلنا من هذه الصور بعضها ليقف القرَّاء على حقيقتها

بطرس الرسول في رومية

للاب ل . رغ . اليسوعيّ

هاءنذا قد قرب عيد الرسولين الاعظمين بطرس وبولس وهو عيد جليل تعظِّمهُ